جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
EISSN: 2588-2384،ISSN: 1112-4377
المجلد: 29 العدد 03 السنة 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

كتاب المعيار المعرب للونشريسي
و أثره في إبراز الاشعاع الفكري والثقافي في حاضرة تلمسان (ق8-9هـ)

The Arabized Standard Book by Wancharisi and its impact on highlighting the intellectual and cultural radiation in the metropolis of Tlemcen (8-9 AH)

د. ماحي أمين[1]
mahi.amin@univ-oran1.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/31 تاريخ النشر: 2025/06/01
Received: 31/01/2025 published: 01/06/2025

ملخص المقال:

جاءت الورقة البحثية تهدف إلى بيان أهمية كتاب المعيار المعرب للإمام الونشريسي، وما تضمنته فتاواه من إبراز القيمة الفكرية والثقافية في المجتمع التلمساني ما بين القرنين (8-9هـ)، وعليه جاءت إشكالية البحث تسلط الضوء حول مدى مساهمة كتاب "المعيار المعرب" الذي يتناول في مضمونه فتاوى ونوازل مختلفة في كل الأبواب الفقهية التي تبرز ذلك الإشعاع الفكري والثقافي في حاضرة تلمسان؟ وذلك قصد إبراز القيمة الحضارية والعلمية والثقافية لمدينة تلمسان تاريخيا والتي جعلت منها منارة علمية في بلاد الغرب الإسلامي التي ساهمت في تنشيط الحركة العلمية والثقافية من حيث التعليم والتأليف، وكذا بيان قيمة كتاب "المعيار المعرب" الذي يعد من بين أهم المراجع في التراث الفقهي الإسلامي الذي كان له الأثر البالغ في فهم الكثير من الحوادث والوقائع في تلكم الحقبة التاريخية من الزمن.

كلمات مفتاحية: المعيار العرب، الونشريسي، تلمسان، الثقافة، النوازل.

Abstract:

This research paper came to show the importance of the book Al-Ma'arir Al-Ma'rab by Imam Al-Wancharisi and the contents of his fatwas to highlight the intellectual and cultural value in the Tlemcen society between the two centuries (8-9 AH), and therefore the problem of the subject came about the extent of the contribution of the Arabized standard "as it deals with fatwas and calamities in all jurisprudential chapters in intellectual and cultural radiation in the metropolis of Tlemcen? This is in order to highlight the civilizational, scientific and cultural value of the city of Tlemcen historically as a scientific beacon in the Islamic West.

Keywords: almieyaralearabiu.; Woncharisi; Tlemcen; culture;calamities.

(1) جامعة وهران 1 أحمد بن بلة الجزائر

1.مقدّمة:

تعد كتب النوازل أو الفتاوى في الفقه الإسلامي مرجعا مهما يستأنس به الباحثون في علوم الشريعة الإسلامية خاصة من الجانب الفقهي، كما تعتبر كذلك من بين أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحثون في علم التاريخ باعتبارها تمثل صورة كاشفة عن ذلك الواقع الاجتماعي والسياسي والفكري والثقافي الذي يمثل أحد جوانب الحضارة العلمية والفكرية في مختلف المجتمعات الإنسانية.

1.1 أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الورقة البحثية في النقاط الآتية:

1- دور علماء تلمسان عامة والإمام الونشريسي خاصة في تنشيط الحركة العلمية والفكرية والثقافية في المجتمع التلمساني.

2- القيمة العلمية التي يكتسبها كتاب "المعيار المعرب" وما يحتويه من مسائل ونوازل فكرية وثقافية بارزة في المجتمع التلمساني.

2.1 الهدف من الموضوع:

تهدف الورقة البحثية إلى الأهداف الآتية:

1- إبراز الاشعاع الفكري والثقافي الذي شهدته مدينة تلمسان باعتبارها أحد حواضر العالم الإسلامي علميا وفكرية وثقافيا ما بين القرنين (ق8-9هـ).

2- دور علماء تلمسان عامة والإمام الونشريسي خاصة في تنشيط الحركة العلمية والفكرية والثقافية في المجتمع التلمساني.

3- بيان القيمة الحضارية لمدينة تلمسان.

4- إبراز القيمة الفكرية والثقافية لكتاب المعيار المعرب.

3.1 الإشكالية:

وانطلاقا مما تقدم يمكن أن نطرح الإشكالية الآتية: كيف ساهم كتاب "المعيار المعرب"في فتاويه من تصوير الإشعاع الفكري والثقافي والأدبي والعلمي في حاضرة تلمسان؟

ومن التساؤلات الفرعية التي تطرح عن الإشكال الرئيسي:

- من هو الإمام الونشريسي؟ وما أهمية مؤلفه الفقهي في الجانب التاريخي والعلمي؟
- فيما تتمثل تركيبة المجتمع التلمساني باعتبارها قطبا حضاريا في الفكر والمعرفة والفقه.

وللإجابة على الإشكال المطروح والإحاطة بموضوع الدراسة تم تقسيم الورقة البحثية إلى ثلاثة مباحث رئيسية:

المبحث الأول: التعريف بكتاب المعيار ومؤلفه

المبحث الثاني: طبيعة المجتمع التلمساني وخصوصياته خلال القرنين 8-9هـ

المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية والفكرية بحاضرة تلمسان في كتاب المعيار

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

2.التعريف بكتاب المعيار ومؤلفه

1.2 التعريف بالإمام الونشريسي:

عرفه صاحب نيل الابتهاج في تطريز الديباج(التنبيكتي، 2000، صفحة 135)هو: "أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي "وجاء في شجرة النور الزكية في ترجمته(خلوف، صفحة 397): "التلمساني الأصل والمنشأ الفاسي الدار والوفاة والمدفن المالكي (834 - 914 هـ) (1431 - 1508 م)"، وترجم له صاحب معجم أعلام الجزائر(نويهض، 1980، صفحة 344)"الفقيه العالم العلامة حامل لواء المذهب على رأس مائة التاسعة، حصلت له "كائنة، من جهة السلطان (أول محرم سنة 874هـ) فانتهبت داره، ففر الى مدينة فاس بالمغرب الأقصى، واستوطنها، فكان عالمها ومدرسها ومفتيها إلى ان توفي".

وهكذا نستخلص مما نُقل إلينا من كتب التراجم التي اتفقت جميعها على أن الإمام الونشريسي من أبرز علماء الجزائر أصلا ومولدا ونشأة، ولعل الظروف السياسية التي كانت في عصره، وحقد المناوئين له وتأليب الحكام ضده ما كان الونشريسي ليترك أعظم حواضر العلم في افريقيا تلمسان مدينة العلم والفقه والحديث والفكر بلا منازع فيها ازدهرت الحياة الفكرية والعلمية في شتى العلوم كما سيأتي ذكره في موضعه.

2.2 شيوخه رحمه الله تعالى:

تلقى الإمام الونشريسي –رحمه الله– دروس العلم في فنون مختلفة على يدِ أكابر من العلماء والشيوخ، منهم:

أولا: أبو الفضلِ قاسم بن سعيد بن محمد العقباني، أحد الشيوخ المحققين النقاد، تولَّى قضاء تلمسان، له تعليق على ابن الحاجب الفرعي ومختصر في أصول الدين، ذكره الونشريسي بأوصاف منها: "بشيخنا وشيخ شيوخنا"(الونشريسي، 1990، صفحة 28).

ثانيا: أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي التلمساني الشهير بابن العباس، الإمام العلامة المحقق المتفنن المحصل القدوة الحجة المفتي الفقيه النحوي، كان شيخ شيوخ وقته في تلمسان، له تصانيف، منها: شرح لامية الأفعال في الصرف وشرح جمل الخونجي في المنطق، وكتاب العروة الوثقى في تنزيه الأنبياء عن فرية الالقا(الزركلي، 2000، صفحة 183)، قال عنه الونشريسي: توفي شيخ شيوخنا شيخ المفسرين والنحاة العالم على الاطلاق"(التنبيكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 2000، صفحة547).

3.2 آثاره ومؤلفاته

لقد خلف الإمام الونشريسي ثروة علمية وفكرية هامة لاطلاعه الواسع في علوم اللغة العربية والشريعة وغيرها من الفنون العقلية والنقلية الأخرى، ومن أبرز مؤلفاته رحمه الله تعالى نذكر الآتي(نويهض، 1980، صفحة 347):

أ/ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى افريقية والأندلس والمغرب، في اثني عشر جزءا، وهو أشهر كتبه عند المالكية، بحيث ضم أشهر المسائل في النوازل والمستجدات في مختلف الأبواب الفقهية والفكرية والثقافية، قال صاحب نيل الابتهاج: "جمع فأوعى وحصل فوعى".

ب/ إيضاح المسالك الى قواعد الإمام مالك، بحيث ضم الكتاب أكثر من مائة قاعدة التي عليها العمل عند المالكية بحيث بين القواعد شرحا وتمثيلا لكل قاعدة من القواعد الفقهية.

ت/ كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، وهو عبارة عن تأليف مختصر، بحيث ركز فيه على باب القضاء بحيث أبدع فيه إبداعا قل نظيره ممن كتب في هذا المجال، خاصة مع عزوف العلماء على الكتابة في هذا الفن لارتباطه بشؤون الحكم والسياسة في كثير من البلاد الإسلامية.

ث/ المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثوق وأحكام الوثائق، ويعرف بكتاب الفائق، ويسميه البعض الفائق بالوثائق، بحيث وعى عدة أبواب مهمة في باب التوثيق وما فيه من الأحكام والآداب التي تستدعي الإحاطة بها ومعرفتها لاحتجاج بالوثيقة كسند للإثبات.

فهذا الثروة العلمية من المؤلفات المتنوعة التي تركها الإمام الونشريسي هي دليل قاطع على مكانته العلمية التي كانت له بحاضرة تلمسان، أين كان يتجمع عنده طلبة العلم وغيرهم في مجالسه العلمية، أو في مجال الفتوى وتعليم عامة الناس أمور دينهم ودنياهم، ولعل هذه المكانة العلمية التي امتاز بها الونشريسي هي ما دفعة أهل فاس في استقباله بحفاوة كبيرة احتراما لمكانة عالم جديد وفقيه لا يشق له غبار.

4.2 التعريف بكتاب المعيار للونشريسي

عنوانه الكامل: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، لمؤلفه أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي التلمساني (ت 914هـ/1509م) الكتاب ثري بالفتاوى التي أجاب عليها علماء تلمسان إضافة للمناقشات التي كان علماء تلمسان طرفا فيها.

كما يحتوي الكتاب على مجموعة ضخمة من فتاوى واجتهادات فقهاء القيروان وبجاية وتلمسان وقرطبة وغرناطة وسبتة وفاس ومراكش وغيرها من عواصم الغرب الإسلامي طوال ثمانية قرون، مما ينم عن إدراك عميق لعلماء هذه البلاد لمقاصد الشريعة الإسلامية، مكنهم من مواجهة جميع المشاكل التي اعترضتهم، وإيجاد الحلول الملائمة لما استشكل على الناس من أمور دينهم ودنياهم، طبع الكتاب من طرف وزارة الشؤون الإسلامية المغربية بعناية الدكتور محمد حجي في (13) مجلدا، ومواضيع هذا الكتاب حسب الترتيب الذي وضعه ناشروه لهذه الطبعة حسب الآتي(محروق، 2017، الصفحات 85-86):

الجزء الأول: نوازل الطهارة، والصلاة والجنائز والزكاة ونوازل الصيام والاعتكاف، نوازل الحج.

الجزء الثاني: نوازل الصيد والذبائح والأشربة والضحايا، نوازل الأيمان والنذور، نوازل الدماء والحدود والتعزير.

الجزء الثالث: نوازل النكاح.

الجزء الرابع: نوازل الخلع والنفقات والحضانة والرجعة. نوازل الإيلاء والظهار واللعان. نوازل التمليك والطلاق والعدة والاستبراء.

الجزء الخامس: نوازل المعاوضات والبيوع.

الجزء السادس: مسألة الوصايا وضعت ببجاية. نوازل الرهن والصلح والحماية والحوالة والمديان والتفليس.

الجزء السابع: نوازل الأحباس

الجزء الثامن: مسألة في المياه والمرافق. نوازل الشفعة والقسمة. نوازل الإيجارات والأكرية والصناع. أسئلة مجموعة من سماسرة. بقية نوازل المياه. نوازل من الضرر والبنيان.

الجزء التاسع: بقية نوازل الضرر. نوازل الوديعة والعارية. نوازل الهبات والصدقات والعتق. نوازل الوصايا وأحكام المحاجير. نوازل الغضب والاكراه والاستحقاق.

الجزء العاشر: نوازل الأقضية والشهادات والدعاوى والأيمان، نوازل الوكالات والاقرار والمديان.

الجزء الحادي عشر: نوازل الجامع، مواضيع مختلفة لا تدخل تحت أي باب من الأبواب السابقة في الكتاب.

الجزء الثاني عشر: كتاب فتح الباب ورفع الحجاب بتعقيب ما وقع في تواتر القرآن الكريم من السؤال والجواب. مسألة بيان تواتر القرآن والفرق بين القرآن والقراءات. أسئلة من التفسير وغيره. سؤال في علم الصرف. مسائل في علم التفسير.

الجزء الثالث عشر: خاص بالفهارس.

5.1 أهمية الكتاب التاريخية

يثير كتاب المعيار جوانب تاريخية قلما التفتت إليها البحوث التاريخية المعاصرة وضمن هذه القضايا نشير إلى عنصرين أساسيين ذكرهما الدكتور عمر بلبشير في أطروحته الموسومة بـ: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6هـ إلى 9هـ/12-15م من خلال كتاب (المعيار) للونشريسي:(بلبشير، 2010/2009):

العنصر الأول: يثير هذا المصدر قضايا ثقافية تتعلق بمصادر الإفتاء في المغرب الإسلامي، حيث أن كتاب المعيار يشير إلى مجموعة من أعلام المذهب المالكي، تمتد درجتها من مالك بن أنس إلى سحنون والقابسي، إلى القاضي عياض وأبي الحسن الصُغير والقباب (ت 777هـ)، حتى عصر الونشريسي.

العنصر الثاني: أما العنصر الثاني الذي يثيره كتاب المعيار فهو علاقة الفقه المالكي بالمجتمع المغربي، ذلك أن النصوص النوازل في المعيار تختزن أسئلة وأجوبة تختزل تجربة الفقه المالكي ببلاد المغرب الإسلامي، فعلى مستوى الأسئلة المطروحة على الفقهاء، تبدو بوضوح خصوصيات مجتمع كان يحاول التوفيق بين معطيات واقعه الاجتماعي المبني على الأعراف وعادات تمتد جذورها إلى ما قبل الإسلام، وبين الشرع الإسلامي، وضمن هذه الحالة التاريخية الفريدة التي استمرت تتفاعل طوال العصور التي تؤرخ لها نوازل "المعيار" في هذا الدراسة، تراكمات أجوبة لفقهاء أظهروا تأثرا وانفعالا مع أحوال المجتمع، من دون التخلي عن القواعد الأساسية للمذهب.

وتعليقا على ما أثاره الدكتور عمر بلبشير في أطروحته يمكن أن نستخلص النقاط الآتية:

أ/ الجودة العلمية والفقهية التي تضمنها كتاب المعيار للونشريسي خاصة ماله تعلق بمجال الفتوى والاجابة على مختلف الإشكالات الفقهية النازلة بالمجتمع آنذاك، مما ساهم في ثراء الكتاب بثروة فكرية وفقهية قلما تجدها في كتاب آخر.

ب/ أهمية الكتاب الذي أعطى صورة كاملة على الأوضاع السائدة في مختلف المجالات والميادين ومرونة الفقهاء والعلماء في معالجة مختلف القضايا والنوازل الطارئ بالناس الأمر الذي ساهم في بروز القيم الثقافية والأدبية والعلمية والفكرية للمجتمع الذي كان في أبهى فترة من النضوج الفكري والثقافي في حاضرة تلمسان.

ت/ ارتباط المجتمع في حاضرة تلمسان وتمسكه بالمذهب المالكي تأصيلا وتنظيرا وتطبيقا على واقع الناس آنذاك.

3.طبيعة المجتمع التلمساني في القرنين 8-9 الهجريين

سنتناول في هذا العنصر طبيعة المجتمع التلمساني من حيث موقع مدينة تلمسان باعتبارها حاضرة من حواضر العلم والثقافة في المغرب الإسلامي، ثم التطرق إلى تركيبة المجتمع التلمساني التي من خلالها نستكشف الخصوصيات التي جعلت من المجتمع التلمساني ذو ثقافة متنوعة.

1.3الموقع الجغرافي والنمو السكاني:

يقول الأستاذ عبد العزيز فيلالي في كتابه تلمسان في العهد الزياني(الفيلالي، 2002، صفحة 167/1): "تتميز مدينة تلمسان بموقع جميل، بين البساتين الكثيرة والحقول الواسعة، وتحيط بها السلاسل الجبلية التي تتوفر على المناجم المعدنية والمياه الغزيرة، فهذه العناصر جعلت تلمسان تتصدر مدن المغرب الأوسط، وتتفوق عليها في المجالات المختلفة، حتى صارت عاصمة للدولة الزيانية فتدفق عليها السكان من المناطق المجاورة والبعيدة، وقد هيأت هذه الخصائص، المجتمع التلمساني إلى نقلة حضارية متميزة، وجعلت المدينة تحتل مكانة اقتصادية معتبرة ودورة تجارية هامة".

فمن تحليل عبارة قول الأستاذ عبد العزيز فيلالي أن الموقع الجغرافي الهام لتلمسان كان أبرز العوامل التي شكلت تركيبة المجتمع التلمساني من خلال توافد السكان إليه من مختلف المناطق سواء تعلق هذا التوافد بالهجرة العلمية وطلب العلوم أو من أجل الاستقرار بها وانتفاع بممارسة الأنشطة التجارية والاقتصادية باعتبارها نقطة تواصل بين مختلف الحواضر في المغرب الإسلامي.

وتشير النصوص التاريخية إلى أن المجتمع التلمساني في العهد الموحدي بلغ عدده نحو مائة ألف نسمة، موزعة بين أغادير وتاكرارت وتطور هذا العدد، في منتصف القرن الثامن الهجري، الرابع عشر ميلادي، إلى مائة وعشرين ألف نسمة، ثم قفز إلى نحو خمسة وعشرين ألف عائلة أي ما يزيد على مائة وخمسة وعشرين ألف نسمة، وهي أرقام تدل على تطور سكان مدينة تلمسان ونموه ما بين القرنين السابع والثامن الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين(الفيلالي، 2002، الصفحات 168/1-169).

2.3 أطياف المجتمع التلمساني:

يقول الأستاذ عبد العزيز فيلالي في نفس المرجع السابق(الفيلالي، 2002، صفحة 170/1): "يبدو أن الأصول العرقية لعناصر سكان مدينة تلمسان كانت متشعبة بحيث يصعب على الباحث الإلمام بكل مكوناتها، ويعود السبب في ذلك إلى نقص الوثائق من جهة وإلى التمازج الذي حدث بين السكان الأصليين من البربر، وبين الأجناس الأخرى، التي حلت بها منذ الفتح العربي الإسلامي في نهاية القرن الأول الهجري، السابع الميلادي كالعرب اليمنيين والمضريين والشاميين والعراقيين والأندلسيين والأغزاز والقبط، والأعلاج المماليك والعبيد السود، فضلا عن جنسيات مختلفة من أوروبا، ويهود، وغيرهم ممن تسربوا إلى مدينة تلمسان وحطوا رحالهم فيها في شكل مجموعات كبيرة أو صغيرة، أو فرادى على مر السنين والقرون".

وكان المجتمع التلمساني في العهد الزياني، يتشكل من عناصر مختلفة سنحاول التعرف على أهمها فيما يلي:

أ/ **البربر**: لما صارت مدينة تلمسان عاصمة للزيانيين عاد إليها نفوذ زناتة فاحتكرت حمايتها من جديد، ونقل إليها بنو عبد الواد عشيرتهم وقبيلتهم، وقبائل أخرى من بني عمومتهم، ولقد كان العنصر البربري هو الغالب على سكان مدينة تلمسان ولاسيما من زناتة التي ظهرت فيها طبقة ميسورة تصدرت المجتمع التلمساني في هذه الفترة، وتبوأت القيادة والمخزن، وامتهنت الوظيف واحترفت الصناعة والتجارة والدراسات الفقهية وغيرها.

ب/ العرب: لقد حل الوجود العربي بمدينة تلمسان منذ الفتوحات الإسلامية واستمر التدفق العربي إلى تلمسان من مختلف البلاد العربية، والجدير بالملاحظة هو أن معظم القبائل والجيوش، التي قدمت إلى بلاد المغرب كانت تتكون أغلبها من العرب اليمنية والمضرية، وإلى جانب هذه القبائل عرفت مدينة تلمسان فئة من الأشراف من أبناء سليمان بن عبد الله بن الحسن، أحد إخوة مؤسس دولة الأدارسة بفاس سنة 172هـ/788م، الذي اهتم بتلمسان وجعلها قاعدة من قواعده الهامة في المغرب الأوسط سنة 173هـ/789م ومنذ هذا التاريخ صارت تلمسان مقرا مفضلا للأشراف الحسنيين أما القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي فقد عرفت هذه الفترة اكتساح قبائل بني هلال وبني سليم العربية بلاد المغرب واستقرت في مناطق كثيرة ، وتم التحالف بين قبائل بني هلال وحكام بني زيان وقربوهم إليهم ومنحوا لهم الأراضي وأسكنوهم إلى جانب القبائل الزناتية في بعض أحياء المدينة وفي أرباضها، حتى سميت هذه الأحياء "بسقائف القبائل".

ت/ الأندلسيون: لقد عرف الوجود الأندلسي بمدينة تلمسان منذ بدايات القرن الرابع الهجري، واستمر التدفق الأندلسي مع ما عرفته الأزمات السياسية والداخلية في بلاد الأندلس، والجدير بالذكر أن المهاجرين الأندلسيين، الذين نزلوا بمدينة تلمسان كانوا من الأعلام وأهل البيوتات ومن وجوه القوم وأعيان الأندلس استعان بهم أمراء بني زيان في تسيير دواليب الدولة ومؤسساتها وأجهزتها.

ث/ فئات أخرى: لقد عرفت تركيبة المجتمع التلمساني عناصر أخرى شكلت بمجموعها المجتمع التلمساني ومن هذه الفئات نذكر الأغزاز وهم من بين العائلات الغزية التي قدمت من بلاد المشرق وهي من القبائل التركية كما تذكر بعض المصادر التاريخية بعض فئات الأخرى ومنها الأعلاج أو الصقالبة وهم عناصر من جنسيات أوروبية مختلفة استخدمهم أمراء بني زيان في مختلف شؤونهم كما عرفت تركيبة المجتمع التلمساني طبقة السود وكان أغلبهم من الذين يعملون في القصور والحقول والجيش ومن الجواري اللائي كن يسخرن للخدمة في المنازل.

4.استقراء الأوضاع الفكرية والثقافية بحاضرة تلمسان من فتاوى المعيار

بالرجوع إلى النصوص الإفتاء والنوازل في كتاب "المعيار" نجد ذلك الحضور القوي للفقهاء في ترشيد وتوجيه الحياة العلمية والتربوية، كما نجد تلك المناقشات والمحاورات بين علماء تلمسان فيما بينهم أو مع غيرهم من فقهاء المغرب الإسلامي الذي شكل الدور البارز في نشاط الحركة العلمية والفكرية في حاضرة تلمسان وذلك كان من أسباب إقبال طلبة العلم من مختلف الأمصار والحواضر الأخرى إلى حاضرة تلمسان لما انتشر بين طلبة العلم والناس إلى ازدهار الحياة الثقافية والفكرية بها.

1.4 الجانب الفكري والعلمي:

لقد شهدت حاضرة تلمسان تواصلا علميا وفكريا بين علمائها وشيوخها مع غيرها من الحواضر العلمية بالمغرب الإسلامي كفاس ومراكش والقيروان، حيث ساد النقاش العلمي والفقهي عن طريق المناظرات والردود العلمية مما ساهم في بلوغ أرقى المراتب الفكرية والعلمية لدى علماء تلمسان وانكباب طلبة العلم على الأخذ من علمائها.

ففي المعيار للونشريسي(الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، صفحة 310/10)أن الخطيب محمد بن مرزوق التلمساني، أخذ في شرح الشفا للقاضي عياض وهو مستوطن مدينة فاس، وبعث إلى

شعراء الأندلس ليمدحوا كتاب الشفا ليجعل ذلك مقدمة لشرحه ومعلوم أن ابن مرزوق كان ملازما للسلطان أبي الحسن المريني وألف كتاب "المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن".

وفي إحدى نوازل المعيار عن قاضي الجماعة بفاس "محمد المقري التلمساني" (ت759هـ/1357م) يسأله السلطان أبو عنان عمن لزمته يمين على نفي العلم فحلف جهلا على البت، هل يعيد اليمين أم لا؟

فأجاب: بإعادتها، قال وكان من حضره من الفقهاء أفتوه بأن لا تعاد لأنه أتى بأكثر مما أمر به على وجه يتضمنه.

كما تفيدنا نصوص المعيار ببعض المناظرات والمناقشات العلمية بين فقهاء تلمسان وغيرهم من فقهاء المغرب، تناولت جملة من القضايا المتعلقة بالفقه والتفسير والتصوف والكلام وغيرهما من المسائل الفكرية المطروحة للنقاش والجدل من ذلك:

كما يسرد الدكتور عمر بلبشير في أطروحته الموسومة جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6هـ إلى 9هـ/12-15م من خلال كتاب (المعيار) للونشريسي(بلبشير، 2010/2009، صفحة 297)من تلكم المناظرات العلمية حيث نص على أنه جرت مناظرة قصيرة حول "عموم الرسالة النبوية" وقعت بمدينة مراكش بين الشيخ "سعيد بن محمد العقباني" وأحد علماء اليهود، كان هذا الأخير يشتغل بمسائل علمية عديدة.

كما جرت محاورة فقهية بين الشيخ الإمام الرواية "أبو علي ناصر الدين المشداليالبجائي" (ت731هـ/1330م) والشيخ العلامة الناظر "أبو موسى عيسى بن الإمام" تتعلق بحلية البيع وصحته.

كما وقع نزاع بين أحمد بن زكري المانوي (899هـ/1493م) مفتي تلمسان ومحمد بن يوسف السنوسي، في مسائل فقهية عديدة ذكرها الونشريسي في مدونته.

ومما تضمنته نوازل المعيار(الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، صفحة 242/8) من معلومات في هذا السياق، اهتمام الدولة بالتعليم وحرصها على الاستثمار فيه فكريا وسياسيا، حيث تم اسناد وظيفة تعليم الأولاد إلى "معلم القرآن" وهو شيخ الكُتاب ويسمى أيضا المكتبي أو المؤدب وهو الذي يعتمد عليه في المرحلة التعليمية للأولاد وترسيخ مبادئ الآداب الإسلامية فيهم، وللمعلم قانون يسري عليه داخل الكُتاب بتحقيق التساوي بين المتعلمين وكذا منع زجر المتعلمين "الصبيان" بالسب القبيح، أما من اتصف من الصبيان بأذى أو لعب أو هروب من الكتاب، فإن المؤدب يستشير وليه في قدر ما يرى من الزيادة في ضربه حسب طاقته.

كذلك نستقرأ في بعض نوازل المعيار أن التعليم نظير أجر كان تقليدا شائعا ...وأن العرف جرى في بعض المناطق أن يتحمل الصبيان نفقة المعلم بالدورة أي بالتناوب، كما أن العادة جرت في المنطقة محل الدراسة على أن يرسل الأب مع ابنه عند إتمامه حفظ القرآن هدية للمؤدب تتمثل في مبلغ من المال(بلبشير، 2010/2009، صفحة 256).

2.4 الجانب الثقافي والأدبي:

لا يختلف اثنان في رقي النشاط الثقافي والأدبي ومختلف الفنون بحاضرة تلمسان ولعل السبب في ذلك يعود أساسا إلى حركة الهجرة من بلاد الأندلس إلى شمال افريقيا وعلى وجه الخصوص تلمسان، فعمد كثير من مسلمي الأندلس الذين استوطنوا تلمسان إلى نقل العلوم والفنون والنشاطات العلمية والفكرية والأدبية فعلى سبيل المثال لا الحصر انتقل الأدب والشعر والموشحات التي كانت فخر الثقافة الأدبية ببلاد الأندلس، ودليل على ذلك ما جاء منصوص عليه في كثير من الكتب الفقهية ومنها المعيار الذي جاء زاخرا بها ومن أقوال فقهاء الأندلس في الاجتهاد الفقهي والأصولي منهم: ابن فتوح الغرناطي المتوفى سنة867 هـ وابن السراج

الغرناطي المتوفى سنة 848 وأبي عبد الله محمد الحفار الأنصاري الغرناطي المتوفى سنة811هـ "وأبي عبد الله محمد بن الحداد الوادي وغيرهم.

وأدى تزاحم النشاط العلمي والفكري الممتد من المساجد والمدارس والزوايا بحاضرة تلمسان خلال القرن الهجري التاسع إلى بروز تيارات ثقافية وفكرية واضحة المعالم كان لها أثرها الظاهر أشهرها: تيار الاجتهاد الفقهي وتيار التصوف السني الذي أسس له أبو مدين شعيب الاشبيلي حسب ما ذهب إليه الأستاذ القدير عبد العزيز فيلالي.

خاتمة:

في ختام الورقة البحثية يتضح مدى عناية علماء تلمسان بمسائل النوازل وتدوينها الأمر الذي كان له الأثر إيجابي لكثير من الباحثين في العلوم الشرعية والتاريخ وغيرها من العلوم ذات الصلة، حيث أصبحت كتب النوازل من أهم المصادر التي أصبح المؤرخ يعود إليها في كتابة التاريخ وفهم الطبيعة السياسية واجتماعية والفكرية والثقافية ومختلف جوانب الحياة في تلك الفترة الزمنية من التاريخ، ولعل كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى افريقية و الأندلس والمغرب لصاحبه أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي المعتمد في دراستنا البحثية من أهم المصادر المختصة في النوازل التي اعتمد عليها كثير من المؤرخين في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي عامة وحاضرة تلمسان خاصة باعتباره أحد علماءها البارزين الذين نبغوا في التأليف، ومساهمة المناظرات والمجالس العلمية والفكرية والثقافية بين فقهاء تلمسان ومختلف الحواضر في المغرب الإسلامي كفاس والقيروان وبجاية ...الخ، والذي ساهم في الاشعاع الفكري والثقافي تلك الرحالات العلمية إلى تلمسان من علماء وطلبة العلوم الشرعية والعقلية خاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

ومن النتائج التي خرجت بها دراستنا البحثية نذكر الآتي:

1/ تعد حاضرة تلمسان من أبرز الحواضر العلمية والفكرية والثقافية في المغرب الإسلامي والتي ساهمت في تنشيط الحركة العلمية والثقافية من حيث التعليم والتأليف.

2/ يعد أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي أحد أقطاب علماء تلمسان في تلك الفترة الذين أثروا في الحياة العلمية والفكرية وكذا التأليف وجمع أقوال العلماء.

3/ يعد كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى افريقية والأندلس والمغرب أحد أهم الكتب التي دونت في فقه النوازل على مذهب الإمام مالك وأصوله.

4/ يعد كتاب المعيار المعرب من بين الوثائق التاريخية التي كان لها الأثر في فهم الكثير من الحوادث والوقائع التاريخية من خلال ما تضمنه من فتاوى ونوازل.

5/ الارتباط الوثيق بين المذهب المالكي والمجتمع في تلمسان ساهم في ازدهار المذهب ورسوخه في بلاد المغرب الإسلامي عامة وحاضرة تلمسان خاصة.

التوصيات:

1/ دعوة الباحثين إلى العناية بتاريخ الحواضر العلمية التي تزخر به تاريخ الجزائر مثل: تلمسان، مازونة، بجاية...الخ.

2/ دعوة الباحثين المختصين إلى التعريف بأعلام الجزائر وما خلفوه من مؤلفات علمية كان لها الأثر البالغ في الفقه الإسلامي عامة والفقه المالكي خاصة كما هو الشأن عند الإمام الونشريسي في كتابه المشهور "المعيار المعرب".

المصادر والمراجع:

1-أحمد بابا تنبيكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ت: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، ط2 طرابلس – ليبيا، (2000م).

1- Ahmad baba tanbikiti, Nil aliaibtihaj bitatriz aldiybaj, T: Abed Alhamid Abed Allah alharamat, Dar ' Alkitab, ta2 Tarabulus - Libya, (2000m)

2- مخلوف بن قاسم خلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ت: عبد المجيد خيالي، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت (لبنان).

2- Makhluf Bin Qasim Khaluf, Shajarat alnuwr alzakiat fi tabaqat almalikiati, T: Abed Almajid Khayali, ja1, Dar Alkutub al- eilmia, T1, Bayrut (lubnan)

3- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، بيروت (لبنان)، (1400هـ- 1980م)

3- Adal nuyhda, muejam 'aelam aljazayar, muasasat nuyhad althaqafiat liltaalif waltarjamat walnashri, ta2, bayrut (lubnan), (1400h- 1980m).

4- أبو العباس الونشريسي، عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، ت: حمزة أبو فارس، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت- لبنان (1410هـ-1990م).

4- Abu aleabaas alwanshrisi, eidat alburuq fi jame ma fi almadhhab min aljumue walfuruq, ti: hamzat 'abu ' .faris, ta1, dar algharb al'iislami, bayrut- lubnan (1410h-1990m)

5- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، دار العلم للملايين، ط15، بيروت (لبنان)، (م2000).

5- Khayr al- diyn al- zarkili, al'aelami, ji6, Dar al- eilm lilmalayini, T15, Bayrut (lubnan), (m2000).

6- إسماعيل محروق، "جهود العلامة أحمد الونشريسي التلمساني الجزائري وإسهاماته الفكرية في جمع الفقه المالكي"، مجلة RevistaArgelina، العدد5، السنة 2017.

6- Ismaeil Mahruqun, "Juhud alealaamat 'Ahmad al- wanashrisi altilmasanii aljazayirii wa'iishamatih alfikriat ' fi jame alfiqh almaliki", majalat RevistaArgelina, aleudadu5, alsanat 2017.

7- عمر بلبشير، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6هـ إلى 9هـ/12-15م من خلال كتاب (المعيار) للونشريسي، أطروحة دكتوراه، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران1 (2009-2010).

7- Omar belbashir, Jawanib min al- hayat al- iajtimaeiat waliaqtisadiat walfikriat fi al- maghribin al'awsat wal'aqsaa min alqarn 6h 'iilaa 9h/12-15m min khilal kitab (almieyari) lilwinishrisi, 'utruhat dukturah, qism .(2010-2009) alhadarat al'iislamiati, jamieat wahran1.

8- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

8- Abed aleaziz Filali, Tilmisan fi aleahd al- Zayaani, muafam lilnashr Waltawziei, Aljazayar, 2002.

9- أبو العباس الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب ت: زكريا عميرات، ج10، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية (المغرب) ودار الغرب الإسلامي (لبنان).

9- Abu aleabaas al- wanashrisi, al- mieyar al- muearab waljamie al- maghrib ean fatawi 'ahl 'iifriqiat ' wal'andalus walmaghrib T: zakaria eumayrat, J10, wizarat al'awqaf walshuwuwn al'iislamiat lilmamlakat almaghribia (almaghribi) wadar algharb al'iislamii (lubnan).